المنظومة
ALMANDUMAH

العنوان:	وقفات على جهود ابن حزم الأندلسي في تنشيط الحركة العلمية
المصدر:	مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية
الناشر:	جامعة عبد الملك السعدي - كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان
المؤلف الرئيسي:	أقلاينة، المكي بن أحمد
المجلد/العدد:	ع17
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2012
الصفحات:	33 - 56
رقم MD:	573424
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	AraBase, HumanIndex
مواضيع:	الادب العربي، الادباء العرب، النقد الأدبي، الأندلسي، أبو محمد علي بن حزم ، ت 456، العلماء المسلمون، العصر الأندلسي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/573424

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

أقلاينة، المكي بن أحمد. (2012). وقفات على جهود ابن حزم الأندلسي في تنشيط الحركة العلمية.مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع3317 ، 56 - 573424/Record/com.mandumah.search//:http مسترجع من.

إسلوب MLA

أقلاينة، المكي بن أحمد. "وقفات على جهود ابن حزم الأندلسي في تنشيط الحركة العلمية."مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانيةع17 (2012): 33 - 56. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/573424

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

وقفات على جهود ابن حزم الأندلسي في تنشيط الحركة العلمية

إعداد: الأستاذ الدكتور المكي اقلاينة

ملخص البحث

يعتني هذا البحث بدراسة جهود ابن حزم الأندلسي الذي عاش في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) في ربوع الأندلس، في جو علمي رفيع، كان فاعلا فيه ومنفعلا، وهذا التفاعل ينبئ عن شخصية فذة نظرا لمشاركته السياسية والعلمية في شتى مجالات المعرفة، وتصدّر فيها، وكان علما من الأعلام المشار إليهم ممن طوروا المعرفة الإنسانية بصفة عامة، وحرك الأقلام، مما يجعله موضوعا جديرا بالبحث.

لقد كان ابن حزم موسوعيا حسب اصطلاح العصريين، ولم يكن مجرد ناقل، بل كان ذا بصر نافذ، وقريحة فياضة، يغربل ما يصل إليه بمنظار المحدثين وبراهين المناطقة، سجل له التاريخ دوره في التطوير العلمي، والانفتاح على الآخرين، ومواجهة غير المسلمين انطلاقا مما يسلمون به، فكان قمينا أن تتبع أعماله، وينظر أسلوبه في الجدل والإقناع.

لأجل ما سبق، ارتأيت تقديم هذا البحث: "وقفات على جهود ابن حزم الأندلسي في تنشيط الحركة العلمية".

وما التوفيق إلا بالله، وعليه التكلان.

المقدمـــة:

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونتوكل عليه، نحمده حمد العاجزين عن شكره، الراجين رحماته، الطامعين في جنته. وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليك يا بدر الدجى ما ناحت الحمائم إلى يوم نلقاه وهو عنا راض، سبحانه رب العالمين.

سبحان الله العظيم الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، رفع من شأن العلم وأهله، جعلنا الله في سلكهم، ويسَّر لنا سبل التحلي به، والسير على نهجه... وعلماء الأمة هم نبراس الهدى، أليسوا بورثة الأنبياء؟!

وإنه من دواعي الافتخار الحديث عن جهود ابن حزم الأندلسي في تنشيط الحركة العلمية على المستويين المغربي والمشرقي، ذلك الرجل الذي عاش في القرن الخامس للهجرة (الحادي عشر للميلاد)، وتربى في بيت عز وسؤدد على يد النساء أولا، من والد كان وزيرا، ووزر هو نفسه مدة شهر ونيف لينصرف عن السياسة بعدها ويكرس بقية حياته للعلم ونشره... هذا العالم كان له أثر كبير في الحركة العلمية، على المستوى الحديثي والفقهي- إذ صار إماما للمدرسة الحزمية- والتفسيري والأصولي والكلامي والأدبي والتاريخي والسياسي والمنطقي والفلكي... بعبارة أخرى، كان ابن حزم رجلا مشاركا باصطلاح القدامى، وموسوعيا باصطلاح العصريين.

عرف ابن حزم بآرائه النقدية، إلى جانب حدة لسانه حتى قيل: "لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان"... هذه الآراء الجريئة جعلت منه عالما سامقا، يكفي أن أذكر في هذا الصدد إثباته كروية الأرض في وقت ما كان الغرب ليحلم بمثل هذه الحرية في البحث العلمي بقرون عديدة، وتكفي هنا الإشارة إلى أنه في العصور الوسطى كانت الكنيسة تحاكم المخالفين لآرائها

بالتعذيب والسجن والإعدام، بينما علماء الإسلام كانت لهم جهود طيبة في المجال العلمي، كان لها الأثر البالغ في تطوير المعرفة الإنسانية.

بناء على ذلك، ارتأيت أن أتقدم لمؤتمر: "إسهام علماء المسلمين في الدراسات العربية بين الأصالة والتجديد" ببحثي الموسوم: "وقفات على جهود ابن حزم الأندلسي في تنشيط الحركة العلمية"، راجيا أن يكون له موقع في إثراء البحث العلمي إن شاء الله تعالى.

وقد جعلته في مقدمة وأربعة مباحث وخلاصة، وذيلته بالفهارس الضرورية.

أما المبحث الأول فيعتني بالتعريف بابن حزم.

وأما بقية المباحث فخصصتها على التوالي لدراسة كل من الجدل الديني، والدرس التاريخي، والدرس العقلي عند ابن حزم.

- المبحث الأول: التعريف بابن حزم[1]:

ابن حزم هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد. ولد بقرطبة سنة 384 هـ، وكان أبوه وزيرا للمنصور وفي الوقت ذاته حامل علم وأدب. عاش عيشة الترف بين أفراد أسرته، وتعلم على أيدي النساء القرآن الكريم واللغة العربية والشعر، ثم أخذ العلم عن مجموعة من الشيوخ، وكانت المجالس التي يعقدها والده في قصره مفيدة جدا في تكوين شخصيته العلمية، إذ صار شاهد

[1]- قصدت في هذا المبحث الاختصار ما أمكن، وقد ترجم له العلماء في مصادر عدة، منها: الحميدي، أبو عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ص: 308-311، ترجمة: 708، وابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبدالملك: الصلة 415/2 ترجمة 894، والضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص: 415، ترجمة 1205، وابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي: البداية والنهاية 91/2 (وفيات سنة 456 هـ)، وابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان 325/3-330، ترجمة 448...

عصره على ما يحدث من وقائع، ومجمعا لما يقدَّم في محفل والده من علم، ومكتبة القصر زاخرة، فتفتحت عيناه على العلم وحبه.

ما لبثت الحروب الأهلية أن عصفت بالديار، وتغير الحال بابن حزم بعد أن خرِّبت، فما كان منه إلا أن يبحث عن ملاذ في مكان غير المكان الذي ألفه، وبقي يتنقل ويستوزر سبعة أسابيع، ليغادر السياسة طلقة بائنة، ويتفرغ كلية للعلم ونشره، فصار يشار إليه بالبنان، وسارعت إليه المطي... والحسد يعمي ويصم، فتمالأ عليه الصغار، وألبوا عليه السلطان، وكانت ميوله الأموية كافية لإغارة صدره ضده، فما كان من المعتمد بن عباد حاكم إشبيلية إلا أن أمر بكتبه فأحرقت جملة منها، تمكن من إعادة مجموعة منها بكتابتها من حفظه...

أمضى بقية حياته عاكفا على التصنيف والتدريس فكان مفلقا، وخاض في أغلب العلوم وتصدَّر فيها، وكانت مؤلفاته التي تتسم بالوفرة إلى جانب المتانة شاهدة على مشاركته، دالة على سعة اطلاعه، برهانا على نفاذ بصيرته، لا يقبل بالدنية، ولا بالأخذ من غير بينة، فكان ذلك من أسباب سطوع نجمه، وكل من تصدر، كان معرضا للسهام...

تقلب ابن حزم في المذاهب، ابتدأ مالكيا ثم صار شافعيا، فظاهريا ليستقل بمذهبه الحزمي ويجد له أتباعا.

وكانت وفاته رحمه الله تعالى سنة 456 هـ.

من مؤلفاته:

* الجامع في صحيح الحديث باختصار الأسانيد.
* كتاب شرح أحاديث الموطأ والكلام على مسائله.
* بيان غلط عثمان بن سعيد الأعور في المسند والمرسل.
* الإحكام في أصول الأحكام.
* ملخص إبطال القياس.

* الإيصال إلى فهم كتاب الخصال الجامعة لحمل شرائع الإسلام والحلال الحرام وسائر الأحكام على ما أوجبه القرآن والسنة والإجماع.
* حلى.
الفصل في الملل والأهواء والنحل.
* الأصول والفروع.
* الرد على أناجيل النصارى.
* التقريب لحد المنطق.
* الأخلاق والسير في مداواة النفوس.
* طوق الحمامة في الألفة والآلاف.

إضافة إلى مجموعة من الرسائل متعددة المشارب.

- المبحث الثاني: الجدل الديني عند ابن حزم:

إن التفكير الحزمي يقوم على ظاهريته المتمسكة بالنص قرآنا وسنة صحيحة، مع نبذ للقياس، وهذا جعله ملتزما بالنقد الحديثي الذي صبغ أعماله بلون خاص، إلى جانب استعمال العقل في دراساته، كل ذلك أعطاه قوة بزَّ بها مناوئيه حتى اضطروا للجوء إلى أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت474 ه) واستحضاره إلى الأندلس بعد أن أفل نجمهم أمامه، وانكسرت أقلامهم بصلابة بنانه، وعلا صوته على كل مخالف، فما كان لأحد أن يصمد قدامه.

دار الجدل بين العلمين، أسفر عن اعتراف كل منهما بطول كعب صاحبه، لكن من أتى به لمجادلته ما كان ليرضى بنتيجة كهاته، فصاح أن قد انتصر الباجي على خصمه، وتشجع الصغار على نقده، وتمالؤوا عليه، وألبوا السلطان عليه بما له من ميول أموية مخالفة للسياسة الجارية، فكان أن أمر المعتمد بن عباد حاكم إشبيلية بحرق كتبه وسط المدينة، خلد ابن حزم ذكراها في أبيات تكتب بماء الذهب، قال فيها:

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي
تضمنه القرطاس بل هو في صدري

يسير معي حيث استقلت ركائبـــــي
وينزل إن أنزل، و يدفن في قبـــري
دعوني من إحراق رق و كاغـــــل
وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
فعـــودوا إلى المكـــاتب بـــــــدأة
فكم دون ما تبغـــوه لله من ستـــــرا

ولعل هذه المناظرات التي دارت بين هذين الجبلين كانت نواة لتفصيل موضوع الاستصلاح عند الغزالي (ت 505 هـ) في (المستصفى من علم الأصول) والمقاصد الشرعية عند الشاطبي مما جعل من هذه الأعمال تطويرا للفكر الأصولي بالمشرق والمغرب.

وبالنظر إلى مصنفات ابن حزم، يلمس القارئ ذلك الجدل الذي يقيمه مع مخالفيه، ورده عليهم بطريقة يغلب عليها الطابع المنطقي بعد انتهائه من النقد الحديثي، كما هو الحـــال في (المحلى) و(الإحكام في أصول الأحكام) و(الفصل في الملل والأهواء والنحل)، ولم يكن للأندلسيين أنس بطرق الجدل، فكان نهجه أكبر سبب في عدم صمودهم في وجهه، ولأجل ذلك ألف أبو الوليد الباجي لهم كتابا سماه (المنهاج في ترتيب الحجاج)، صرح في مقدمته أنه ألفه لبعض أهل عصره لما لمسه فيهم من عدم المعرفة بأصول الجدل[2].

خصص ابن حزم كتبه للجدل والمناظرة في كل ما يكتب، فمخالفته السياسية للقوم، ومذهبه المخالف لما عليه أهل البلد حتى إنه استقل بمذهبه الحزمي، كل ذلك جعله في موقف المدافع عن آرائه، وفي الوقت ذاته المهاجم على مخالفيه بلسان حاد وأدلة قوية، وهذا ما خلق جوا من النشاط العلمي منقطع النظير[3]، وطد الصلة العلمية بين المشرق والمغرب...

---

[2]- الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف: المنهاج في ترتيب الحجاج، ص: 7.

[3]- إن الناظر في كتاب ابن حزم (الإحكام في أصول الأحكام) وكتاب أبي الوليد الباجي (إحكام الفصول في أحكام الأصول) يحس وكأنه أمام جبلين يتقابلان، وأنهما أمامه يتناظران.

وكلٌّ من تصدّر للتأليف فقد عرّض نفسه للنقد، وقد كانت أحكامه في الرجال ... تفرّد بها مثار تعليقات من العلماء[4]، كما أن آراءه الفقهية لم تكن محل قبول دوما لمخالفاته للجمهور[5]، ولسعاته اللاذعة أئمةَ المذاهب وغيره ... حتى قيل: "لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان"[6] ومنهم من ذهب إلى القول: "من الحزم عدم اتباع ابن حزم". وهذا لا يعني أن الرجل لا يستقيم أمره، فهو ممن استكمل أدوات الاجتهاد، ومن ذا الذي لا يخطئ؟! كل امرئ يؤخذ من قوله ويُرد إلا صاحب هذا القبر.

ولم يقف الحوار الديني عند ابن حزم مع المسلمين في الفقه وأصوله والعقيدة، بل نجده يجريه مع غير المسلمين أيضا[7] في مجال عقائدهم كما في

---

[4]- يراجع مثلا الفصل الرابع من الباب الثالث من رسالتنا: ابن حزم الأندلسي وأثره في الدراسات الحديثية، أرقام التراجم: 7، 15، 38، 42، 65، 69، 100... وكذا عند حكمه على الراوي بالضعف المطلق من غير تفرقة بين أحواله المختلفة التي يراعيها علماء الحديث، واعتباره الثقة مقبول الخبر دوما إلا بدليل بيّن، إذ يذهب إلى اعتبار الثقة ثقة في كل أحواله ولا يرد خبره إلا بدليل، وإذا كان ضعيفا فهو ضعيف في كل أحواله. الإحكام في أصول الأحكام 143/1، 149/3، بينما يمايز العلماء بين أحوال الراوي، إذ قد يكون ثقة في حال، ضعيفا في حال آخر كما هو حال إسماعيل بن عياش الشامي، فهو ثقة فيما رواه عن الشاميين، ضعيف فيما رواه عن غيرهم، لأنه ضابط لكتبه عن الشاميين، أما كتبه عن غيرهم فإنها غرقت في النهر، فإذا حدث من حفظه منها أخطأ. يراجع: ابن عدي، أبو أحمد عبدالله الجرجاني: الكامل في ضعفاء الرجال 291/1-300، والمزي، أبو الحجاج يوسف ابن الزكي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال 163/3-181، وابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب 280/1-283، وقد فصلت في اختلاف أحوال الرواة في بحثنا: منهج المحدثين في نقد الروايات، ص: 19-24.

[5]- يمكن رصد ذلك في كتابه (المحلى)، كما أنه في (الإحكام في أصول الأحكام)، و(ملخص إبطال القياس) يلمس القارئ نقد ابن حزم للمخالفين في علم الأصول.

[6]- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان 323/3. وقد فسر الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي ذلك بعدم ملازمته شيوخ العلم، فلم يتأدب بآدابهم. الموافقات 93/1-95، أما ابن حزم، فإنه يفسر ذلك بإصابته بربو شديد في الطحال، وهو يؤثر في المزاج. الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص: 210. ,وأرى أن يضاف إلى ذلك ما عاناه من فقهاء عصره. يراجع ما ورد في كتابنا: النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى، ص: 83-84.

[7]- جدال ابن حزم مع غير المسلمين كان أحيانا عن طريق التأليف، وأخرى بطريقة مباشرة كما في قوله: "... ولقد ضربت بهذا الفصل وجوه المتعرضين منهم للجدال في كل محفل، فثبتوا أن نص التوراة ..." الفصل في الملل والأهواء والنحل 233/1، ومرة نجده يقول: "... وقد رام بعضُ من صككت وجهه من علمائهم بهذه الفضيحة أن يلوذ بهذا الشغب، فقلت: دع عنك هذا التمويه، فقد سَدَّت عليك توراتك كل المذاهب..." الفصل 271/1.

رسالته في الرد على ابن النغريلة اليهودي[8]، وفي كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) نتيجة مناقشات طويلة دارت بينه وبينهم، يرد عليهم بالحجة والبرهان، انطلاقا من كتبهم التي تعامل معها مباشرة[9]، معتمدا في ذلك على الحقائق التاريخية[10] والحساب[11] والجغرافية[12] وإلزامهم بما جاء نصا في كتبهـــم[13] ومقتضيات العقل السليم 14 بعد بيان عدم تواتر كتبهم وكذا عدم نقلها عن طريق الثقات بسند يطمأن إليه، وأن التوراة إنما هي من تأليف الحماش، وفيه قال بعد أن بيّن إحدى افتراءاته: "... هذه سوأة تشهد شهادة صادقة قاطعة بأن صانع ذلك الكتاب الملعون المكذوب الذي يسمونه الحماش، ويدعون أنه توراة موسى عليه السلام، إنما كان زنديقا مستخفا بالباري تعالى ورسله

---

[8]- ينظر مثلا: ابن حزم: رسالة في الرد على ابن النغريلة اليهودي (ضمن رسائل ابن حزم) 45/3، 46-47... والفصل 201/1-329.

[9]- ابن حزم: الفصل 214/1، 234، ويصرح في غير ما موطن أنه ينقل من التوراة نصا 240/1، 242، 250، 253...

[10]- ابن حزم: المصدر ذاته 217/1-218، 245-246، 259، 262-263، 272...

[11]- ابن حزم: المصدر ذاته 214/1، 215، 216، 235-236، 242-243، 252-253... ثم ذكر طريفة ليبين فيها مدى جهل مؤلف التوراة المزعومة بالحساب فقال: "... وكذبة سادسة ظريفة جدا، وهي أنه ذكر في توراتهم أن عدد ذكور بني جرشون ابن لاوي من ابن شهر فصاعدا كانوا ستة آلاف وخمسمائة، وأن عدد ذكور بني فهاث بن لاوي من ابن شهر فصاعدا كانوا ثمانية آلاف وستمائة، وأن عدد ذكور بني مراري بن لاوي من ابن شهر فصاعدا كانوا ستة آلاف ومائتين. ثم قال: فجميع الذكور من بني لاوي من ابن شهر فصاعدا اثنان وعشرون ألفا. فكان هذا ظريفا جدا، وشيئا تندى منه الآباط ! وهل يجهل أحد أن الأعداد المذكورة إنما هي يجتمع منها واحد وعشرون ألفا وثلاثمائة؟! هذا أمر لا ندري كيف وقع؟! أتراه بلغ المسخم الوجه الذي كتب لهم هذا الكتاب الأحمق من الجهل بالحساب هذا المبلغ؟! إن هذا لعجب!..." 276/1.

[12]- ابن حزم: المصدر ذاته 218/1، 252، 262-263، 264.

[13]- نجد ابن حزم يذكر مرة في موقع إلزامهم: "... قلنا: لا يخلو يوسف عليه السلام من أن لا يكون له ولد غيرهما ممن أعقب خاصة، كما نقول نحن وتشهد به نصوص توراتكم وجميع كتبكم، أو يكون ليوسف ولد أعقب عن غير أفرايم ومنسّى. فلو كان كذلك، فكتبكم كلها كاذبة أولها عن آخرها من التوراة فما وراءها، لأنه في كل مكان ذكر فيه رتبة معسكر الأسباط سبطا سبطا، وعددهم إذ خرجوا من مصر، وعددهم إذ دخلوا الشام، وعددهم إذ أهدوا الكباش والعجول وحقاق الذهب، وعددهم إذ وقفوا على الجبلين للبركة واللعنة، وعددهم إذ نقشت أسماؤهم في الفصوص المرتبة على صدر هارون في أزيد من ألف موضع في سائر كتبهم، ولم يذكر ليوسف إلا سبطين فقط: سبط منسّى، وسبط أفرايم ! فبطل الاعتراض بذلك الكلام المذكور. وبالله التوفيق" الفصل 271/1-272.

[14]- ابن حزم: المصدر ذاته 250/1، 255، 256، 271، 274...

وكتبه..."[15]، ويثبت تزييفهم التوراة انطلاقا من كتبهم، ومبينا تعارضها[16]، كما اعتنى بمناقشة النصارى في معتقداتهم، وإثبات تحريفهم له وأنه ألف في مرحلة متأخرة، وأنه غير متصل النقل بعيسى عليه السلام[17].

كانت محاورات ابن حزم لا تتوقف، حتى على مستوى التصنيف هو محاور، وهو صاحب جدل متمكن من أسلوب الحوار والإقناع، وبيئة قرطبة التي كان يعيش فيها بيئة علم، تشجع العلماء على العطاء الفكري حتى قالوا: "إذا مات عالم بإشبيلية بيعت كتبه بقرطبة، وإذا مات موسيقي بقرطبة بيعت آلاته بإشبيلية".

- المبحث الثالث: الدرس التاريخي عند ابن حزم:

تميز ابن حزم بفكره النقدي في كل كتاباته، وكان المنهج الحديثي الذي سلكه في أعماله له الأثر البالغ في عبقريته، ذاك الرجل الذي يأبى إلا الوقوف على الدليل الصحيح ليبني عليه، وأخذ بذلك في طريقة التفكير والتحليل للحقائق التاريخية. وإذا علمنا أنه كان جزءا لا يتجزأ من الحياة السياسية في الأندلس، أدركنا سبب دقة نظراته التاريخية.

لقد خصص ابن حزم رسائل في هذا الباب إضافة إلى ما تضمنته كتبه من وقفات نقدية رصينة لها وزنها، وتنوعت نثرا وشعرا على قلتها مقارنة بمصنفاته وبما ألفه معاصراه ابن بسام صاحب (الذخيرة) وابن حيان صاحب (المقتبس).

15- ابن حزم: المصدر ذاته 249/1.

16- ابن حزم: المصدر ذاته 201/1-329، و274...

17- ابن حزم: المصدر ذاته 13/2-217.

وهو في ذلك ينطلق من مشاهداته[18] وسماعاته من الثقات[19] والمكاتبات التي توصل بها[20] وتجاربه[21] إضافة إلى ما تلقاه من علم عائد إلى الكتاب والسنة والسيرة والمغازي وكتب الأديان الأخرى إلى جانب عدد كبير من المصادر التاريخية وغيرها التي كانت تتوفر في مكتبته الزاخرة، كل ذلك كان سببا في حنكته التاريخية مما لا نجده عند كثير من الدارسين. وهو ينبه على منهجه القائم على المشاهدة فيما يقرضه شعرا مما له ارتباط بالمسائل التاريخية بقوله: "... وسأورد في رسالتي هذه أشعارا قلتها فيما شاهدته"[22]، فكانت مشاهداته مصدرا لانتقاداته التاريخية التي زخرت بها كتبه التي نجت من العوادي... ومن ثم نجد قصائده في أبي عامر بن أبي عامر، وموسى بن عاصم بن عمرو، وأبي إسحاق إبراهيم بن عيسى الثقفي الشاعر وغيرها مما له ارتباط قوي بالتاريخ. ولعل أبرز قصيدة تاريخية قرضها: ميميته[23] التي ردَّ فيها على قصيدة نقفور الملقب بالدمستق (ت 352 هـ) التي أرسلها إلى الخليفة المطيع بالله، يسب فيها الإسلام والمسلمين ويتوعد بالاستيلاء على الديار، فردّ ابن حزم عليه فأجاد وأفاد، وصفها ابن كثير بقوله: "... وقد انتخى للجواب عنها بعد ذلك أبو محمد بن حزم الظاهري فأفاد وأجاد، وأجاب عن كل فصل باطلٍ بالصواب والسداد، فبلّ الله بالرحمة ثراه، وجعل الجنة متقلبه ومثواه..."[24].

18- ابن حزم: طوق الحمامة في الألفة والألاف (ضمن رسائل ابن حزم) 87/1، 107، 110، 124، 140، 157، 158، 162، 167، 217، 251-252، 261-262...

19- يراجع مثلا: ابن حزم: المصدر ذاته 87/1، 101، 120، 150، 155، 187، 188، 189، 196، 200، 208، 227...

20- ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص: 33.

21- ابن حزم: طوق الحمامة 101/1، 118، 119، 130، 151، 184، 185، 194، 196، 223، 256...

22- ابن حزم: المصدر ذاته 87/1.

23- ابن خير الإشبيلي: فهرست ابن خير، ص: 417، وقد جاء نصها عند السبكي، تاج الدين بن علي بن عبدالكافي: طبقات الشافعية الكبرى 214/3-222، وابن كثير: البداية والنهاية 247/11-252. تقع في 107 أبيات.

24- ابن كثير: المرجع ذاته 240/11.

والأخبار عنده على قسمين: قسم مقطوع به وهو المتواتر، وآخر آحاد يشترط فيه الاتصال بنقل الثقة عن مثله للعمل به، حيث قال: "... الأخبار تنقسم قسمين: خَبَرُ تَواتُرٍ، وهو ما نقلته كافّةٌ بعد كافة حتى تبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا خبر لم يختلف مسلمان في وجوب الأخذ به، وفي أنه حق مقطوع على غيبه، لأن بمثله عرفنا أن القرآن هو الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم، وبه علمنا صحة مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، وبه علمنا عدد ركوع كل صلاة وعدد الصلوات... وقد تكلمنا في كتاب الفصل على ذلك، وبينا أن البرهان قائم على صحته، وبينا كيفيته، وأن الضرورة والطبيعة توجبان قبوله، وأن به عرفنا ما لم نشاهد من البلاد ومَن كان قلبنا من الأنبياء والعلماء والفلاسفة والملوك والوقائع والتواليف. ومن أنكر ذلك كان بمنزلة من أنكر ما يُدرَك بالحواس الأول ولا فرق، ولزمه ألا يصدق بأنه كان قبله زمان، ولا أن أباه وأمه كانا قبله، ولا أنه مولود من امرأة..."[25]

... ثم زاد: "... والقسم الثاني من الأخبار ما نقله الواحد عن الواحد، فهذا إذا اتصل برواية العُدول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وَجبَ العملُ به، ووجب العلم بصحته أيضا..."[26].

وكتب ابن حزم طافحة بالجدل في قبول الأخبار، والتأكيد على ضرورة نقلها عن الثقات وعدم اعتماد أخبار غيرهم، وعدم ردِّ خبر الثقة إلا بدليل[27]... وابن حزم في نقوله يتحرى صحة النقل متأثرا في ذلك بمنهج المحدثين، مشترطا في الناقل ذات الشروط المطلوبة في راوي الحديث.

والناقل للخبر محتاج لقبول خبره أن يعرف صدقه من كذبه، لأن غير الأنبياء غير معصومين، وفي ذلك يقول: "... إن الواحد من غير الأنبياء المعصومين بالبراهين عليهم السلام قد يجوز عليه تَعَمُّدُ الكذب، يُعلَمُ ذلك بضرورة الحس، وقد يجوز على جماعة كثيرة أن يتواطؤوا على كذبة إذا

---

[25]- ابن حزم: الإحكام 100/1.
[26]- ابن حزم: المصدر ذاته 103/1.
[27]- ابن حزم: الإحكام 133/1.

اجتمعوا ورغبوا أو رهبوا، ولكن ذلك لا يخفى من قِبَلِهم، بل يُعلَم اتفاقهم على ذلك الكذب بخبرهم إذا تفرّقوا، لابد من ذلك..."[28].

ولأجل ذلك، نجده يرد دعوى توارد الخواطر عند الشعراء، ويعد ذلك مجرد إغارات وسرقات، وانتقد هذه الدعوى التي زعمها له أحدهم بعدم وثاقة الناقل، ومخالفة ما أَلِفَهُ في هذا الشأن، قال في ذلك: "... وأما الذي لا أشك فيه، وهو ممتنع في العقل، فاتفاقهما في قصيدة، بل في بيتين فصاعدا. والشعر نوع من أنواع الكلام، ولكل كلام تأليفٌ ما. والذي ذكره المتكلمون في الأشعار من الفصل الذي سموه المُوارَدَة، وذكروا أن خواطر شعراء اتفقت في عدة أبيات، فأحاديث مفتعلة لا تصحُّ أصلا ولا تتصل، وما هي إلا سراقات وغارات من بعض الشعراء على بعض"[29].

وفي الوقت ذاته، نجده لا يقتصر على إيراد الأخبار التاريخية، بل يقوم بنقدها بعرضها على ما صح منها، وعلى بدهيات الحس والعقل، من أجل ذلك نجده يقول في معرض جداله: "قال أبو محمد علي (أي ابن حزم): ويُقال لمن قال: لا يُدرَك شيءٌ إلا من طريق الخبر: أخبِرْنا: الخبر كلُّه حق أم كله باطل؟ أم منه حق وباطل؟ فإن قال: هو باطلٌ كلُّه، كان قد أبطل ما ذَكر أنه لا يُعلَم شيء إلا به... وإن قال حق كله، عورض بأخبار مبطلة لمذهبه، فلزم تركُ مذهبه لذلك... فلم يبق إلا أن من الخبر حقا وباطلا... فإذا كان كذلك، بطل أن يعلم صحة الخبر بنفسه، إذ لا فرق بين صورة الحق منه وصورة الباطل، فلابد من دليل يفرق بينهما، وليس ذلك إلا لحجة العقل المفرقة بين الحق والباطل..."[30].

---

[28]- ابن حزم: المصدر ذاته 102/1.
[29]- ابن حزم: المصدر ذاته 103/1.
[30]- ابن حزم: الإحكام 20/1-21.

وقد ظهر أثر ذلك في تضعيفه قول النسابين أن الحكم بن عبدالملك مات صغيرا، لأنه وجد لرؤبة بن العجاج الشاعر مديحا فيه، ولم يكن يمدح يومئذ إلا من بلغ وفهم ورُجِيَ[31].

وهذا النقد الذي أضفى على الدراسة التاريخية عند ابن حزم طابعا لم يألفه كثير من السابقين، نجد ابن خلدون (ت 808 هـ) يتأثر به، ويعتمد نظراته الحصيفة، ونقده القائم على دراسة النص من حيث قبوله عقلا، وينقل ذات الأمثلة لرد الروايات التاريخية الواردة في التوراة مثلا لبيان تناقضها تاريخيا ومخالفاتها لمقتضيات العقل[32].

وعندما قام ببيان فضل الأندلس، دلّل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف أسلاف المغاربة والأندلسيين المجاهدين فيه بصفات الملوك على الأسرّة[33] انطلاقا من الوقائع التاريخية، ورادّا لقول المخالف بناء على ذلك[34].

وأنكر صحة دعوى أحدهم أنه هشام بن الحكم المؤيد، وأنه في الواقع خلف الحصري اعتمادا على الحقائق التاريخية، ذلك أنه ادعى كونه هشاما

---

[31]- ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص: 86.

[32]- قارن بين ما جاء عند ابن حزم: الفصل 261/1 وما بعدها، وابن خلدون: المقدمة، ص: 14 وما بعدها.

[33]- يقصد بذلك حديث أَنَس بن مَالك رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَهُ يقول: "كان رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم يَدْخُلُ على أُمِّ حَرَامٍ بِنْت ملْحَانَ فَتُطْعِمُهُ، وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بن الصَّامت، فَدَخَلَ عليها رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم فَأَطْعَمَتْهُ وَجَعَلَتْ تَفْلِي رَأْسَهُ فَنَامَ رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وهو يَضْحَكُ، قالت: فقلت: وما يُضْحِكُكَ يا رَسُولَ اللَّه؟ قال: نَاسٌ من أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً في سَبِيلِ اللَّه، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هذا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الْأَسِرَّةِ – أو مَثَلَ الْمُلُوكِ على الْأَسِرَّةِ ، شَكَّ إِسْحَاقُ – قالت: فقلت: يا رَسُولَ اللَّه، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي منهمْ. فَدَعَا لها رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم. ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وهو يَضْحَكُ، فقلت: وما يُضْحِكُكَ يا رَسُولَ اللَّه؟ قال: نَاسٌ من أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً في سَبِيلِ اللَّه كما قال في الْأَوَّلِ. قالت: فقلت: يا رَسُولَ اللَّه، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي منهم. قال: أَنْتِ من الْأَوَّلِينَ. فَرَكِبَتِ الْبَحْرَ في زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بن أبي سُفْيَانَ فَصُرِعَتْ عن دَابَّتِهَا حين خَرَجَتْ من الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ"، متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء... 1027/3 ح 2636، وباب غزو المرأة في البحر 1055/3 ح 2722، وكتاب الاستئذان، باب من زار قوما فقال عندهم 2316/5 ح 5926، وكتاب التعبير، باب الرؤيا بالنهار... 2570/6 ح 6600، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الغزو في البحر 1518/3 ح 1912.

[34]- يراجع: ابن حزم: رسالة في فضل الأندلس (ضمن رسائل ابن حزم) 173/2-174.

بعد وفاته باثنتين وعشرين سنة!!! ومع ذلك، بويع له وخطب له على جميع منابر الأندلس في أوقات شتى، وسفكت الدماء، وتصارعت الجيوش!!![35].

وعندما درس (حجة الوداع)، قام بدراستها بطريقة تجعل المرء يحس بأنه أمام سرد تاريخي، لكن في الوقت ذاته يقوم على نقد الروايات للتمييز بين صحيحها من سقيمها ليستخلص الحكم الشرعي، فهو بذلك كان مدققا في كل ما يورد ولا يقتصر على مجرد إيراد الأسانيد، مخالفا لما جرى عليه سلفه في هذا الشأن أمثال الطبري في (تاريخ الأمم والملوك) وفي تفسيره، إذ يكتفي بإيراد سند الخبر تاركا لغيره التنقيب عن مدى صحته، عمدة هؤلاء في صنيعهم أن "من أسند لك فقد رفع العُهدة عن نفسه"، فكان ابن حزم بطريقته هاته ممثلا لاتجاه جديد في كتابة السيرة النبوية وكذا الكتابة التاريخية، وجد صدى ذلك في تلاميذه أمثال أبي القاسم صاعد (ت 463 هـ) صاحب (طبقات الأمم)، وأبي نصر الحميدي الأندلسي (ت 488 هـ) الذي لازمه وعرف بصحبته وأكثر الأخذ عنه[36] كما في كتابه (جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس)، هذا الكتاب الذي اعتمد مادته ومنهجَه ابنُ بشكوال، أبو القاسم خلف ابن عبدالملك (ت 578 هـ) في كتابه (الصلة)، حيث نصَّ على أن ما أورده في كتابه عن الحميدي هو من كتابه (جذوة المقتبس)[37]، وجاء بعده الضبي، أحمد بن يحيى بن عميرة (ت 599 هـ) ليكون اعتماده على (جذوة المقتبس) في كتابه (بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس) أكثر بكثير من ابن بشكوال، بل إنه حتى ليرد على الخاطر أنه إعادة كتابة كتاب الحميدي في القسم الأول منه إلى حدود سنة خمسين وأربعمائة، وقد اعترف الضبي بكثرة اعتماده عليه في مقدمة الكتاب حيث قال: "... ولم أجد في كتب مَن تقدَّم كتابا أقبَلُ من كتاب أبي عبدالله محمد بن أبي نصر

35- ابن حزم: كتاب نقط العروس في تواريخ الخلفاء (ضمن رسائل ابن حزم) 97/2.

36- ابن خلكان: وفيان الأعيان (ترجمة الحميدي)، وابن بشكوال: الصلة 560/2، والضبي: بغية الملتمس، ص: 123.

37- ابن بشكوال: الصلة 24/1.

الحميدي، إلا أنه انتهى فيه إلى حدود الخمسين وأربعمائة، فاعتمدت على أكثر ما ذكره،وزدت ما أغفله وغادره، وتممت من حيث وقف"[38]. كما اعتمد عليه ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله القضاعي (ت 659 هـ) في كتابه (تكملة الصلة)، وصرح بذلك في أول مؤلفه[39]. وما كلامنا عن هذا الأمر إلا للإشارة إلى دور ابن حزم في تحريك الأقلام وتأثيره في الأعلام مما بقي أثره واضحا للعيان من خلال المصنفات التي زخرت بها المكتبة الأندلسية والإسلامية.

من خلال ما سبق، يتضح لنا أن شخصية ابن حزم لا ترضى بالتقليد والتسليم لكل ما يقال، بل يستعمل عقله ويحكمه في النقول، فيقبل ما سلم نقله، ولم يعارضه شيء من الحقائق التاريخية أو مقتضيات العقل السليم، وبذلك ضرب مثلا حضاريا في دراسته للنصوص التاريخية، ومثّل مسارا جديدا في طريقة الدراسة التاريخية كان لها أثرها الطيب في الدراسات اللاحقة التي قام بها ابن خلدون وما ظهر على الساحة الفكرية بعده في الدراسات الغربية عند كلامهم عن النقد الداخلي والنقد الخارجي للنص، فأنعم به من مفكر إسلامي جبل شامخ يحـق أن يسجل الفخر به، وأن يستفيق القوم من سباتهم العميق للسير على النهج القويم، وما التوفيق إلا بالله العزيز الحكيم.

- المبحث الرابع: الدرس العقلي عند ابن حزم:

في هذا المجال، سأشير إلى قضيتين فقط للتدليل على مشاركات ابن حزم في الدرس العقلي، أحدهما يتعلق ببحثه كروية الأرض، وثانيهما يتعلق بتجديده للمنطق.

---

[38]- الضبي: البغية، ص: 1.

[39]- ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي البلنسي: التكملة لكتاب الصلة 6/1.

✓ المطلب الأول: إثباته كروية الأرض:

إذا عدنا إلى الإغريق نجد أنهم كانوا يعتقدون أن الأرض قرص دائري مسطح تحيط به مياه المحيطات من كل جانب، أمثال هكتاتيوس (ت 500 ق.م.) - الذي يعدُّ أبا الجغرافيا الإغريقية - يرسم خرائطه على أساس القرص المستدير... وبالرغم من أن أفلاطون (ت 348 ق.م.) أتى بأول نظرية عن كروية الأرض، إلا أنه لم يلق التأييد الكافي ممن جاء بعده... بل إن الدولة الرومانية رفضت هذه الفكرة، وكتب كوزماس (ت 547 م)- أبو الجغرافيا الرومانية -: "إن العالم يشبه العجلة، وإن مياه المحيط حوله من كل الجهات.." وبلغ الأمر ذروته حين تبنّت الكنيسة وآباؤها الأوائل، وعلى رأسهم لكتانشيوس، هذه النظرية بشدة، وقالوا إن الأرض مسطحة، وأن الجانب الآخر غير مأهول؛ وإلا سقط الناس في الفضاء!... ومما يُذكر في هذا السياق أن راهبًا مصريًّا يُدعى قزماس وضع في القرن السادس الميلادي نظرية فلكيّة استمدّها من النصوص المقدّسة (!!) أصرّ فيها على أن الأرض مستطيلة مسطّحة، وأنها لا يمكن أن تكون كرويّة!!...[40].

وفي هذا الإطار تأتي إسهامات المسلمين للتدليل على كروية الأرض كما هو واضح عند ابن خرداذبة (ت 272 هـ) في كتابه (المسالك والممالك)، وابن رُستة (ت 290 هـ) في كتابه (الأعلاق النفيسة)، والمسعودي (ت346 ه) في كتابه (التنبيه والإشراف)[41].

ونجد أحدَهم يتوجه بالسؤال إلى ابن حزم لمعرفة رأيه في مسألة كروية الأرض، فيخصص مطلبا موسَّعا لهذا الأمر مستجيبا للطلب الموجه إليه، قال فيه: "... قالوا: إن البراهين قد صحت بأن الأرض كروية، والعامَّةُ تقول غير ذلك. وجوابنا - وبالله تعالى التوفيق -: إن أحداً من أئمة المسلمين المستحقين لاسم الإمامة بالعلم رضي الله عنهم لم ينكروا تكوير الأرض، ولا

---

[40]- يراجع: الدكتور راغب السرحاني: المسلمون وإثبات كروية الأرض http://www.islamstory.com/

[41]- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين: التنبيه والإشراف، ص: 9.

يحفظ لأحد منهم في دفعه كلمة، بل البراهين من القرآن والسنة قد جاءت بتكويرها..."[42] ثم يأتي بما يدل على ذلك من الكتاب والسنة، وشارحا ومعرجا على الجوانب المنطقية المؤيدة أن الأرض كروية. وهذا من الجوانب التي أضافها إلى الكتب المتعلقة بالدراسات الشرعية، تنم عن قدرة فائقة على الاستنباط من النصوص الدينية وما يدرك بمقتضى العقل، والتوفيق بينها بطريقة هادئة تدعو إلى الإعجاب.

وتوارد بعده علماء على هذه القضية، أمثال: الشريف الإدريسي (ت 560 هـ) في كتابه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)، والقزويني (ت 682 هـ) في كتابه (عجائب المخلوقات).

✓ المطلب الثاني: تجديده في المنطق:

دخلت علوم الأوائل، ومن بينها المنطق، إلى العالم الإسلامي عن طريق الترجمات من الإغريقية إلى العربية، من خلالها تعرف عليها المسلمون، فتباينت مواقفهم منه قبولا وردا، يفسر ابن حزم ذلك بردّهم إلى أصناف أربعة[43]:

1- قوم حكموا على كتب المنطق بأنها محتوية على الكفر وناصرة للإلحاد دون أن يقفوا عليها ويطالعوها بالقراءة.

2- قوم عادوا المنطق واعتبروه هذرا جهلا منهم به.

3- قوم درسوا المنطق من غير فهم له، فتقبلوا قول من قال فيه إنه مشتمل على الإلحاد.

4- قوم نظروا فيه بأذهان صافية، فاهتدوا بمناره، وثبت التوحيد عندهم ببراهين ضرورية. وانتصر ابن حزم للمنطق بعد أن ردَّ على المخالفين،

---

[42]- ابن حزم: الفصل 241/2.

[43]- ابن حزم: التقريب لحدّ المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية (ضمن رسائل ابن حزم) 98/4-100.

مبينا دواعي تأليفه فيه وشرحه العائدة إلى صعوبة النصوص المنطقية في عصره بسبب تعقيد الترجمات، فأراد أن ييسِّره ويبسطه للمتعلمين، مخالفا طريقة من سبقه التي تنحو إلى الشح بالعلم والضَّنِّ به[44]...

وعَمَلُ ابنِ حزم في كتابه لا يقف عند حدود الشرح للمنطق الأرسطي، بل نجده استوعبه وفهمه ثم جعله في قالب شرعي حتى يستفاد منه في الجانب الفقهي والإفتاء. ولتحقيق هذا المرام قام بضبط المصطلحات حسب ارتباطها بالدلالات اللغوية لتكون أسهل للفهم والاستيعاب، وأبعد عن التعقيد والاضطراب، ومن جهة ثانية، لم يكتف بنقل المنطق الأرسطي كما هو، لأنه يعبر عن الفكر اليوناني حتى في طريقة صياغة الجمل التي ترد عندهم اسمية بينما في اللغة العربية فعلية، ولا يتردد ابن حزم عن مخالفة أرسطو، كما لا يتردد في تغيير المصطلحات، فللكلام ع "الوجود" يستعمل لفظ "العالم"، وللكلام عن "الصورة" يستعمل لفظ "النوع"[45]، وللكلام عن "جنس الأجناس" يستعمل "الجنس الذي لا جنس فوقه"[46]... ويخطِّئ المترجمين في جملة من المواطن[47].. ويدرج الأمثلة الفقهية لتطبيق المنطق على الفقه، وتوضيح وجه الإفادة منه، فكان في سلوكه هذا مجددا في طريقة دراسة المنطق بكيفية تناسب التفكير الإسلامي، وكذا أصول الفقه. ومن ثم، فلا وجه لكلام صاعد الأندلسي عندما قال في حقه: "... ممن اعتنى بصناعة المنطق خاصة من سائر الفلاسفة: أبو محمد علي بن أحمد بن حزم... وألف فيه كتاباً سماه (التقريب لحدود المنطق)، بسط فيه القول على تبيين طرق المعارف... وخالف فيه أرسطاطاليس واضع هذا العلم في بعض أصوله مخالفة مَنْ لم يفهم غرضه ولا ارتاض في كتبه، فكتابه (التقريب لحد المنطق) من أجل هذا كثيرُ الغلط، بَيِّنُ السَّقْط"[48] لأنه لم يدرك مرمى ابن حزم، ولا فهم مراده، وظن مثل

---

[44]- ابن حزم: التقريب 100/4.
[45]- ابن حزم: المصدر ذاته 115/4.
[46]- ابن حزم: المصدر ذاته 116/4.
[47]- ابن حزم: المصدر ذاته 112/4.
[48]- صاعد الأندلسي، أبو القاسم بن أحمد: طبقات الأمم، ص: 76.

غيره أنه يجب على الفرد أن يكون وقافا عند حدود اجترار أقوال السابقين من غير تحشية أو إضافة أو تغيير في المصطلحات بما يناسب طريقة تفكير المسلمين، إذ الغرض بيان كيفيةالاستفادة من علم المنطق، لا من شخص معين، ولا من جهة معينة، والعلم يمكن تصحيحه، وتغيير ما يحتاج إلى تغيير ليصبح مقبولا ومعمولا به...

وإذا كان ابن حزم قد خصص للمنطق كتابا يقربه للناس بالأمثلة الفقهية، فإن ذلك كان دافعا للغزالي إلى أن يجعله مقدمة لكتابه (المستصفى من علم الأصول)، فكان عمله امتدادا لعمل ابن حزم...

الخلاصة:

من خلال ما سبق تتبين لنا شخصية ابن حزم الموسوعية، تلكم الشخصية الفاعلة في الوسط السياسي والحقل المعرفي، ولم تكن لتقف عند حدود التفرج في الأحداث التي تحصل في الأندلس، بل تتفاعل معها، وتشارك في تدبيرها، فابن حزم كان ابن وزير، واستوزر مدة ليتخلى عن السياسة معتكفا على العلم وتبليغه. كما أنه لم يقف عند حدود اجترار أقوال السابقين، فنجده يعمل فكره فيما يقال، مدققا فيما يروى، مخضعا كل ذلك لميزان الفحص والغربلة، ناظرا إلى النقول بمنظار المحدثين في نقل الروايات والحكم عليها، متشبعا بالمصدرين الأساسين القرآن والسنة، مطلعا على التواريخ، عالما بالحدود الجغرافية، خبيرا بعلوم الأوائل، سابرا غور الكتب المنسوبة للديانات، قادرا على استحضار المعلومات، كيف لا وهو ممن يحفظ كتبه؟!

نظرا لكل هذه المؤهلات، سخر قلمه للتأليف الناقد، فمصنفاته لا تخلو من الجدل القائم على الدليل، مقدما فكره معتمدا على ما صح والبرهان الساطع... وكان جدله مع غير المسلمين من خلال كتبهم وما يسلمون به، مبينا تهافت ما ورد فيها وتناقضاتها بما لا مرد له: مرة بالحساب، وثانية

بالحقائق التاريخية، وثالثة بالحقائق الجغرافية، ورابعة ببديهيات العقل السليم، فكان بذلك من المؤسسين لتاريخ الأديان الذي سبق به الغرب...

وكان جداله مع المسلمين على مستويات عدة، على مستوى الفقه والأصول والكلام وغيرها من العلوم، مستفيدا من المنطق أسلوبا في الحوار والتأليف، وهو طريقة غير مألوفة عند الأندلسيين، وهذا ما دفع بهم إلى الاستعانة بأبي الوليد الباجي لمناظرته، فخرجا منها يعترف كل واحد منهما برفعة صاحبه، ووضوح بيانه، وقوة حجته، لكن مناوئيه ما كانوا ليرضوا بهذه النتيجة، فأعلنوا أن قد انتصر الباجي، والتاريخ لم يخلد لنا مناظرتهما...

لقد صبغ ابن حزم كتبه بأسلوبه، أسفار تنبئ عن طول باعه، وعلو شأنه... يقصد تيسير المعرفة للطلاب، مستعملا مصطلحات أقرب إلى الفهم باختيارها مرتبطة بالمعنى اللغوي ما أمكن، وهو في المنطق ليس مجرد حاطب ليل، بل نراه ناقلا له بحيث يتناسب مع التفكير الإسلامي، موردا أمثلة فقهية حتى يدرك القوم كيفية الإفادة منه في الفقه والإفتاء، مما جعل بعضهم يظن أنه لم يفهم مراد أرسطو!!!

وإذا كان ابن حزم موسوعيا كما رأينا، فإن هذه الموسوعية لم تقف عند حدود الجانب النقلي، وإنما تعدت ذلك إلى الجانب العقلي والبحث في المسائل التي يعتبر فيها الغرب أقزاما في وقت ما كانوا يفكرون فيها، فكيف في تصورها؟! وكانت الكنيسة تعاقب من يخرج عن معتقداتها في أمور العلم بالتعذيب والسجن والقتل! وهذا الرجل قد استطاع من خلال قراءاته القرآنية، وتأمله في الشمس ودورانها، وتغير أوقات الصلوات بحسب ذلك أن يخصص في (الفصل في الملل والأهواء والنحل) مطلبات لإثبات كروية الأرض، فهل بعد هذا مجال لإنكار سمو مكانة الرجل العلمية؟!!

رحم الله ابن حزم، وهيأ للمسلمين أمثاله، ينفضون عن أعين الناس غبار الجمود، والابتعاد عن القيل والقال، وتضييع الوقت فيما لا يعود بالنفع

على الأمة، عسانا لا نخلد إلى الأرض، ونرقى إلى مستوى الاستخلاف الذي خصنا الله سبحانه وتعالى به. إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

وأ ج بتوصية أعتبرها من درر هذا المؤتمر الذي تقيمه كلية اللغة العربية والحضارة الإسلامية بجامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، ألا وهي تخصيص مرصد لعلماء الأمة، من أجل إقامة المؤتمرات حولهم للتعريف بعطائهم، والتنبيه على جلالة قدرهم، وأين نحن من أمثال هؤلاء، لعل الله يشحذ الألباب، ويذكي الهمم فتتشوف إلى تلكم الحقب التي كان فيها عطاء المسلمين جرارا، ويتابعون مسيرتهم من غير كلل... وعسى أن يلهم الله سبحانه وتعالى من قيضهم لسياسة بلدانهم أن يعملوا على رفعة شأن العلم وأهله، فتكريم العلم وأهله من باب استحضار قوله سبحانه وتعالى: چ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉېچ فاطر: ٢٨.

- ثبت المصادر والمراجع:

1 - الإحكام في أصول الأحكام: ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد- دار الحديث- القاهرة- ط1- 1404 هـ.

2 - الأخلاق والسير في مداواة النفوس: ابن حزم- ت. الدكتور الطاهر أحمد مكي- دار المعارف- ط1- 1981.

3 - البداية والنهاية: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي- مكتبة المعارف- بيروت.

4 - بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس: الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة- دار الكاتب العربي- 1967.

5 - التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية (ضمن رسائل ابن حزم): ابن حزم- ت. إحسان عباس- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت.

6 - التكملة لكتاب الصلة: ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي البلنسي- ت. ألفريد بل وابن أبي شنب- المطبعة الأشرفية- الجزائر- 1337 هـ/1979.

7 - التنبيه والإشراف: المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين- ت. م. ج. دو غوج- مطبعة بريل- ليدن- 1893.

8 - تهذيب التهذيب: ابن حجر العسقلاني، أحمد- دار الفكر- بيروت- ط1- 1404 هـ/1984.

9 - تهذيب الكمال في أسماء الرجال: المزي، أبو الحجاج يوسف ابن الزكي عبدالرحمن- ت. الدكتور بشار عواد معروف- مؤسسة الرسالة- بيروت- 1400 هـ/1980.

10 - جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس: الحميدي، أبو عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي- الدار المصرية للتأليف والترجمة- 1966.

11 - جمهرة أنساب العرب: ابن حزم- ت. عبدالسلام محمد هارون- دار المعارف- القاهرة- ط5.

12 - ابن حزم الأندلسي وأثره في الدراسات الحديثية: اقلاينة، المكي- رسالة لنيل الماجستير- جامعة محمد الخامس- الرباط/المغرب- 1988.

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني- ت. إحسان عباس- دار الثقافة- بيروت- 1399 هـ/1979.

13 - رسالة في الرد على ابن النغريلة اليهودي (ضمن رسائل ابن حزم): ابن حزم- ت. إحسان عباس- المؤسسة العربية للدراسات و النشر- بيروت.

14 - رسالة في فضل الأندلس (ضمن رسائل ابن حزم): ابن حزم- ت. إحسان عباس- المؤسسة العربية للدراسات و النشر- بيروت.

15 - صحيح البخاري، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن بردزبه الجعفي- ت. الدكتور مصطفى ديب البغا- دار ابن كثير- اليمامة- لبنان- ط3- 1407 هـ/1987.
16 - ص ح مسلم، أبي الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري- ت. محمد فؤاد عبدالباقي- د نياء التراث العربي- لبنان.
17 - [illegible]. ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبدالملك- ت. إبراهيم الأبياري- دار الكتاب المصري بالقاهرة/ ودار الكتاب اللبناني ببيروت- ط1- 1410 هـ/1989.
18 - طبقات الأمم: ابن صاعد الأندلسي، أبو القاسم صاعد بن أحمد - ت. لويس شيخو- المطبعة الكاثوليكية- 1912.
19 - طبقات الشافعية الكبرى: السبكي، تاج الدين بن علي بن عبدالكافي- ت. محمود محمد الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو- هجر للطباعة والنشر والتوزيع- ط2- 1413 هـ.
20 - طوق الحمامة في الألفة والألاف (ضمن رسائل ابن حزم): ابن حزم- ت. إحسان عباس- المؤسسة العربية للدراسات و النشر- بيروت.
21 - الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم- ت. الدكتور محمد إبراهيم نصر والدكتور عبدالرحمن عميرة- دار الجيل- بيروت.
22 - فهرست ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف: ابن خير الإشبيلي، أبو بكر محمد- ت. فرنسشكه قداره زيدين وخليان رباره طرغوه- مكتبة الخانجي- القاهرة.
23 - الكامل في ضعفاء الرجال: ابن عدي، أبو أحمد عبدالله الجرجاني- ت. عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد عوض- دار الكتب العلمية- لبنان- ط1- 1418 هـ/1997.
24 - المسلمون وإثبات كروية الأرض: الدكتور راغب السرجاني- http://www.islamstory.com/
25 - مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن- ت. خليل شحادة- دار الفكر- بيروت-1421 ه/2001.
26 - المنهاج في ترتيب الحجاج: الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف- ت. الدكتور عبدالمجيد تركي- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1.
27 - منهج المحدثين في نقد الروايات: اقلاينة، المكي- جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية- 2011.
28 - الموافقات: الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي- ت. الشيخ عبدالله دراز- المكتبة التجارية- د.ت.
29 - النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى: اقلاينة، المكي- سلسلة صيانة السنة (3)- مطبعة طوب بريس- المغرب- 2002.
30 - نقط العروس في تواريخ الخلفاء (ضمن رسائل ابن حزم): ابن حزم- ت. إحسان عباس- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت.
31 - وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر- ت. إحسان عباس- دار صادر- بيروت.